مؤسسة الزواج من خلال الأمثال والحكم الشعبية المغربية

The institution of marriage through proverbs and popular Morocan rule

الحسين ريوش
جامعة محمد الأول، وجدة. (المغرب).
bellahssane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/16 تاريخ القبول: 2021/01/26 تاريخ النشر: 2021/08/01

ملخص:

ظلت الحياة الزوجية هاجسا يؤرق بال الشعوب، ونُسجت عبر الزمن أمثالا وحكما تعبر عن تصورات الإنسان حول شروط اختيار الزوجة وأساليب المعاشرة وتدبير الحياة الزوجية وتحقيق الاستقرار الأسري وبناء مجتمع صالح. وتمّ كل ذلك حسب ظرفية الزمان والمكان.

وقد قدمت الأمثال والحكم الشعبية، التي حيكت في المجتمع المغربي، تصورا يكاد يكون مستوفيا لجميع جوانب وشروط تدبير وإنجاح مؤسسة الزواج سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

إن الأمثال والحكم الشعبية تكشف عن جوانب كثيرة من تفاصيل الحياة الزوجية بمحاسنها ومساوئها، وهي بذلك تعتبر من المصادر "المنسية" التي لا يمكن إغفالها لبناء وإنجاح مؤسسة الزواج وتربية الناشئة وسط محيط أسري سليم يسوده التفاهم والتعاون والمحبة بين الزوجين والأبناء، وتمرر عبره قيم المجتمع الدينية والثقافية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية، وحتى السياسية، وبالتالي تنشئة فرد صالح قادر على تكوين مجتمع سليم يوفر شروط الحياة الكريمة لجميع فئاته.

الكلمات المفاتيح: المثل الشعبي . الزواج . الخطوبة . الطلاق . الأسرة

Abstract:

methods of cohabitation and management of marital life and achieve family stability and the building of a good society.

The popular proverbs provided an almost complete conception of all aspects and conditions of the institution and success of the institution of marriage, whether psychologically, socially or economically.The popular proverbs reveal many aspects of the marital life with its advantages and disadvantages. It is considered one of the forgotten sources that can be consulted and utilized to make the institution of marriage and the raising of the young in the midst of a healthy family environment, with understanding, cooperation and love between spouses and children. Social and economic, and even political, and thus the formation of a good individual capable of forming a healthy society that provides the conditions of a decent life for all its categories.

Keywords : Popular proverb – marriage – courtship – divorce – family.

مقدمة

الزواج لغة: هو الارتباط والاقتران بين شيئين وارتباطهما معا بعد أن كانا منفصلين عن بعضهما[1] . قال تعالى :"وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ"[2]، وقد شاع استخدام المصطلح للتعبير عن الارتباط بين الرجل والمرأة[3] بهدف الاستقرار، وإنشاء المنزل والأسرة. والزواج اصطلاحا هو اتفاق بين الرجل والمرأة على الارتباط بهدف إنشاء الأسرة، أما شرعا فهو استمتاع الزوجين كل بالآخر بغرض النكاح، ويتم ذلك وفق شروط محددة، على أن تحفظ لكل الزوجين حقوقهما. والهدف الأسمى من الزواج هو حفظ النوع البشري وعمارة الأرض[4].

ويعرف الزواج اجتماعيا على أنه "مؤسسة اجتماعية أو مركب من المعايير الاجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة ويفرض عليها نسقا من الالتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية لاستمرار الحياة الأسرية"[5].

لقد ظلت الحياة الزوجية هاجسا يؤرق بال الشعوب، ونسجت حوله أمثالا وحكما تعبر عن تصوراتهم حول شروط اختيار الزوجة وأساليب المعاشرة وتدبير الحياة الزوجية وتحقيق الاستقرار الأسري وبناء مجتمع صالح. وسأحاول أن أميط اللثام عن بعض هذه التصورات من خلال الأمثال والحكم الشعبية المغربية. فكيف صورت الأمثال الشعبية المغربية الحياة الزوجية؟ وإلى أي مدى نجحت هذه الأمثال في تقريب مؤسسة الزواج من مخيل الفرد المغربي؟ وماهي أهم الأمثال التي وظفها المجتمع المغربي للتعبير عن مؤسسة الزواج؟.

---

[1] (ابن) منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم (ت.711هـ/1311-12م): لسان العرب المحيط. تحقيق: عبد الله الكبير ومُحَمَّد أحمد حبيب الله وهاشم مُحَمَّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص: 1884.

[2] سورة الدخان، الآية 54.

[3] قال الله تعال في سورة البقرة، الآية 35 :"وَقُلْنَا يَا آدَمُ أُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ". وقال تعالى في سورة النجم، الآية 45 :"وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والْأُنْثَى".

[4] قال تعالى في سورة هود، الآية 40 :"وَاحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ". وقال ﷺ :"تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة".

[5] فاتن مُحَمَّد شريف: الثقافة والفلكلور، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2008، ص: 338.

1. التعجيل بتزويج الإناث والذكوروأسبابه حسب الأمثال الشعبية:

بما أن"**زْوَاجْ الشَّارَفْ بْحَالْ الرْبِيعْ يَابَسْ**"، وأيضا :"**لَوْلاَدْ مْعَ الشِّيبَانِي يْتَامَى**": الربيع إشارة إلى مرحلة الشباب. و*"الشيباني"* معناه الشيخ، أي أنه في مرحلة الشباب يتمتع الفرد بالحيوية والنشاط عكس مرحلة الشيخوخة، وأنه من يتأخر في زواجه أو يتزوج وهو شيخ فإنه قد يُخلّف أبناء ويموت ويتركهم يتامى. فقد اعتاد الناس التعجيل بتزويج أبنائهم[6]، وخاصة الفتيات، كما يتضح من هذا المثل الشعبي :"**زَوَّجْ بَنْتَكْ فِي وَقْتْ زْوَاجْهَا**".

ويتم التعجيل بتزويج البنت لأسباب اقتصادية[7]، وتجنبا للسقوط في المحظور الذي يجلب الذل والعار[8]، لأنها إن أصبحت عانسا يعتبر ذلك عيبا في الموروث الشعبي حتى أن الأمثال الشعبية قالت عنها "**بْحَالْ الْعَانَقْ الْبَايْرَه، مَا تْصَدَّقْ حَتّى تْعَنَّقْ**"، أي أن الفتاة العانس حينما تتزوج لا تصدق الأمر حتى تدخل بيتها وتعانق زوجها. ولذلك كان الكثير من الآباء يزوجون بناتهم ويجهزون لهن كل حاجياتهن الضرورية حتى يصونوا عزهم وكرامتهم، ولكي لا تتعرض فتياتهم للشبهات كما يلمح من هذا المثل الشعبي :"**السَّلْعَه الذْلِيلَه، مُولاَهَا تَيْزَوَّدْهَا بَالْقَنْدِيلْ، والْفَتِيلة**"، أي أن الفتاة

---

[6] الوزاني أبو عيسى المهدي (ت.1342هـ/ 1923م): النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسمى ب"المعيار الجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب". قابله وصححه الأستاذ: عمر بن عباد، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبعة 1417هـ/1996، ج 3، ص: 356. ومن خلال أرشيفات العدول في بعض المدن، كالعيون سيدي ملوك شرق المغرب، وكذلك من خلال الرواية الشفوية، فإن معظم الفتيات كنّ يتزوجن قبل سن العشرين، أما الذكور فأكثرهم كانوا يتزوجون قبل سن الرابعة والعشرين.

[7] سئل الونشريسي عمن "له ابنة في حضانة أمها يغرم عليه الفرض، فزوجها من عشرة أعوام فرارا من الفرض" (الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت. 1508/914): المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1981/1401، ج 3، ص: 196.195.) وورد أن رجلا "له ابنة في حجره، لها أصل مال صار لها من ميراثها في أمها، فلما زوجها زعم أنه باع حظها من الأصل، وابتاع لها به شورة وجهزها بها، وأنه يعدي عليها نفقتها وكسوتها من يوم موت أمها إلى يوم دخولها زوجا بها." م. ن، ، ج 3، ص: 212.

[8] كان السكان في بعض الأوساط لا يسمحون للنساء بالخروج من المنزل إلا للذهاب إلى الحمام. للمزيد من الاطلاع أنظر: مارمول كربخال (ق.10هـ/16م): إفريقياز تعريب: محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون، ط 1، 3 أجزاء، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، 1984، ج 2، ص: 141.

إذا أصبحت عانسا مثلها مثل سلعة بائرة يسعى المتاجر فيها إلى التخلص منها بأي ثمن، بل إن عبد الرحمان المجدوب[9] شبهها بحمامة بلا جناحين، حيث قال:

أَلِّي طَارَتْ مَنْ سْعُودْ أَيَّامْهَا * تَتْخَبَّلْ فِي رِيشْهَا وَتْعِيشْ**

وأَلِّي قَعْدَتْ مَنْ تْعُوسْ أَيَّامْهَا * مَاهِيَ بالصَّحَّة وَلاَ بَالرِّيشْ.** *"تتخبل"*: تختبئ في ريشها. *"من تعوس أيامها"*: من تعس حظها، وتعيش عيشة تعيسة شقية. ويقارن المجدوب في هذا الرباعي بين حال البنت التي تتزوج مبكرا وحال البنت العانس التي تأخر زواجها أو لم تتزوج قط . وأيضا :**"اعْطِينِي بَنْتَكْ وْزِيدْ عَوْلَتْهَا قَمْحْ"**، أي زوجني بنتك وزدني معها قوتها قمحا. لكل هذا يتمنى كل أب أن تتزوج بنته صغيرة وبمجرد بلوغها سن الزواج، أو قبل ذلك[10]، حتى لا تصبح عانسا. وفي هذا يقول المثل الشعبي :**"لَهْلاَ يْبَوَّرْلْنَا سَلْعَه"**: بوار السلعة كسادها وعدم الرغبة في شرائها.

وإضافة إلى سوء الحظ[11] الذي يعتبر أحد أسباب العنوسة في الثقافة الشعبية كما في هذا المثل: **"مَنْ سَعْدَكْ يَا يْتِيمَه، غَابْ الزَّفَّانْ مَ اللَّمْدِينَة"**. فإن الكثير من الفتيات كنّ يرفضن الزواج

---

9 المجذوب عبد الرحمان بن عياد (ت.976هـ/ 69.1568م): القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت.، ص: 68.

10 ترد إشارات عديدة في كتب النوازل حول إكراه الفتيات على الزواج. للمزيد من الاطلاع أنظر: العبادي الحسن: فقه النوازل في سوس. قضايا وأعلام. منشورات كلية الشريعة بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1999، ص:184. وأيضا الونشريسي، المعيار، م. س، ج 3، ص: 96. و التمكروتي مُحَمَّد بن ناصر الدرعي (ت.1085هـ/1674م): الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية. مخ. م. و.، ص: 64. وأيضا: المهدي الوزاني، النوازل، م. س، ج 3، ص: 360 وما بعدها. ولا تزال ظاهرة تزويج القاصرات، حتى في سن الثانية عشرة، منتشرة في الكثير من المجتمعات، وهي قضية تثير الكثير من الجدل والنقاش بين أصحاب القانون والفقهاء والمجتمع المدني، والكل يسعى للقضاء عليها.

11 لجلب الحظ للفتيات وإقناعهن بقبول الزوج، كيفما كان شكله وعمره ومستواه المادي، كان الآباء يلجئون إلى عمليات السحر التي تجلب **"المحبة والقبول"**، من بينها: كتابة **"حِرْزْ"** يحمل اسم الفتاة واسم والديها وأسماء بعض الجن، وتخطيط جداول، وقد يكتب فيه اسم الرجل المرغوب فيه، ثم يتم تعليقه في مكان عال، وخاصة الشجرة. والغاية من ذلك أنه كلما تحركت الريح تحركت الشجرة فتحرك الحرز وتتحرك معه مشاعر الرجل تجاه هذه الفتاة. وكانت الأمهات، ولا زالت، تُحرّضن بناتهن على الاقتراب من العروس والجلوس في مكانها بمجرد أن تقوم لأن في ذلك جلب للحظ السعيد، ولذلك كثيرا ما كانت الفتيات، وخاصة من قريبات العروس، يتسابقن حول من تكسب ودّ العروس قبل حلول يوم الزفاف. ورُوِيَ أن شابا عشق فتاة لدرجة الجنون لكنها كانت تتهرب منه، فقصد "***حَرّازا***" وكتب له في كفه الأيمن تعويذة وأمره أن يقصدها ويسلم عليها قبل غسل يديه، لكن الشاب لم يلتق بالفتاة طلية ذلك اليوم، فعاد إلى منزله وهو حزين وأراد أن يجرب فاعلية ذلك *الحرز*، ولذلك قصد زريبة (حظيرة) الغنم ووضع كفه على راس ماعزة (عنزة)، فكانت المفاجأة أن الماعزة بدأت تغوث وتتبعه !؟. وتنتشر في المجتمع المغربي ظاهرة **"ضَرْبْ الرْصَاصْ"** التي يقوم بها

بمجرد أن يتقدم أحد لخطبتهن، لكن إلحاح الخطّاب واستعانته ببعض الأولياء والصالحين[12] كان يقنع الكثير منهن لقبول الزواج، ولو مكرهات، مثلما يفهم من هذا المثل :**"الْخَطَّابْ مَا يْكُونْ غَصَّابْ"**، أي أنه من يحب فتاة ويتقدم لطلب يدها للزواج عليه أن يكرر المحاولة مرات عديدة حتى يتمكن من إرضائها. وكان الآباء يشجعون بناتهم الصغيرات على الزواج ويحفزون المترددات منهن بهذا المثل الشعبي :**"اطْلَقْ الْمْزْيَانْ يْجِيكْ الْعَيَانْ"**، أي إذا رفضت هذا الرجل فقد يأتيك مستقبلا من هو أسوأ وتندمين على قرارك هذا، ولكن هذا لا ينفي أن الكثير من الفتيات كن يقبلن الزواج من أول خطيب وكن يعبرن عن ذلك بسكوتهن أثناء الخطوبة كما يكشف عن ذلك هذا المثل :**"السْكَاتْ مْنْ الرْضَى"**، وهو مثل يقال للبنت البكر إذا عرض عليها الزواج بمن يناسبها وصمتت، فيدل ذلك على قبولها، ثم صار يضرب على كل من يرغب في الحصول على شيء تعرضه عليه، ويخجل منك أن يجيبك بالقبول، فيفضل الصمت.

"الرَّصَّاصُ"، وتتمثل هذه العملية في إحضار الرّصّاص لقطعة من الرصاص ولإناء يضعه بين رجلي الفتاة العازب وهي واقفة، ثم يذيب الرصاص فوق النار ويصبه في الإناء الموجود بين رجلي الفتاة، ولما يبرد يخرجه ويقرأ الأشكال التي أصبح عليها الرصاص، فإذا كثرت به الثقوب، مثلا، يقول للفتاة: إنك مصابة بالعين الشريرة ... وغير ذلك. (من زيارة لأحد الرصاصين). وكانت المرأة في الجاهلية إذا تعسر عليها الزواج "نثرت جانبا من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنثور وحجلت على إحدى رجليها – ويكون ذلك – ليلا وتقول :يالكاح، أبغي النكاح، قبل الصباح. فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب". للمزيد من الاطلاع، أنظر: حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت_ لبنان، 1988، ص: 82. و"كان العرب في الجاهلية يزعمون أن المتحابين إذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد ...". مُحَمَّد بن الحاج الكبير: تاج الملوك المسمى بدرّة الأنوار في صنائع الأبرار، مطبعة النهضة، 24 ج، تونس، د.ت، ص: 137. وورد أن قدماء المصريين كانوا يستعملون جرعة الحب لجلب المحبة والحظ السعيد للفتاة حيث كان الساحر "يأخذ بعض قطرات من الدم من بنصر العاشق أو العاشقة ويذاب في إناء السحر بعد أن تُقرأ عليه تعاويذ خاصة ويعطى لمن يراد التأثير عليهن فيعمل السحر على استمالة قلبه وخضوعه لمحبوبه أو عودته إليه بعد فراق. كما كان يستعمل دم البنصر أو الكف في الكتابة على ورق البردي الذي يذاب في الماء الذي يشربه الطرف الآخر أو في كتابة الأحجبة التي تدفن تحت عتبة باب المحبوب أو في مكان نومه لتقوم بنفس الغرض". سيد كريم: السحر والسحرة عند قدماء المصريين مجلة الهلال، مايو 1975، ص. ص. 69- 69.

12 جاء في فتوى لأحمد العباسي السّملالي (ت. 1152هـ/1739. 40م) في شأن رجل خطب من آخر بنته وامتنع من إعطائها له، ثم وجه إليه بعض المرابطين [المرابط أو *"أَمْرابَضْ"* بالأمازيغية أي الشريف أو الولي الصالح]، ممن له جاه ويخاف من دعوته، مع طائفة من الطلبة بذبيحتهم، وذبحوا عليه، ونزلوا عليه حتى قبل إعطاء بنته للمذكور، فأعطاها له وتزوج بها، والبنت كارهة ونافرة ... (العبادي الحسن: فقه النوازل في سوس. قضايا وأعلام. منشورات كلية الشريعة بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1999.، ص: 257).

غير أن العانس كانت، ولا تزال، تجد من يقبل عليها في المجتمع من كبار السن والشيوخ، يكون وضعه المادي في كثير من الحالات جيدا، ويحقق لها رغباتها ويدللها كما في هذا المثل: **"الْعَاتِقْ إِلَى بَارَتْ عْلاَ سَعْدْهاَ دَارَتْ"**. وتكشف لنا الأمثال الشعبية على أن بعض الفتيات كن يبقين عانسات بسبب بحثهن عن زوج ملائم يحقق رغباتهن المادية حتى ولو كان شيخا مثلما يوضح هذا المثل :**"شَايَبْ يْدَلَّلْنِي، وَلاَ شَابْ يْهَدَّلْنِي"**، *يدللني*: يحقق رغباتي، وهو من أمثال المرأة التي تفضل رجلا أكبر منها سنا بكثير أو شيخا يعزها ويحقق لها رغباتها على شاب يحتقرها ولا يحترمها ولا يحقق لها متطلباتها. هذا الصنف من النساء الماديات كُنّ مجالا للاستهزاء من غيرهن، خاصة إذا كان الزوج كثير العيوب (أقرع أو أعرج أو قبيح الوجه أو به عاهات أخرى ...). وتبرر هؤلاء النسوة اختيارهن ب :**"فْلُوسُه يْغَسْلُه كَفُّوسُه"**، أي أمواله تغسل عيوبه، وسنصبر على شيء كريه للحصول على ما هو أفضل، وكما يقال :**"الزِّينْ بَحْرُوفُه وْلَقْرَعْ بَفْلُوسُه"** و **"لَقْرَعْ بَفْلُوسُه، أَرَذَاكْ الرَّاسْ نْبُوسُه"**.

أما التعجيل بتزويج الذكور فهدفه هو إنجاب الأطفال في سن مبكرة حتى تسهل تربيتهم ورعايتهم ولذلك يقال :**"وَلْدْ الشَّارَبْ إِيجِي مْعَ اللَّحْيَه، أُوَلْدْ اللَّحْيَة إِيجِي مْعَ الشِّيبْ، أُوَلْدْ الشِّيبْ يَبْقَى يْتِيمْ"**، وكذلك ليستمتع الرجل بنعمة الأبناء كما في قوله تعالى :"الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وخَيْرٌ أَمَلاً"[13]، وكما في هذا المثل :**"وْلَدْ وْلاَدَاكْ يَكَّبْرُوا مْعَاكْ مَحَدْ وانْتَ صْغِيرْ"**. كما أن الأبناء يشكلون اليد العاملة الضرورية، ولا سيما في البوادي، ويعتبرون بمثابة راتب تقاعد بالنسبة للأب في شيخوخته :**"وْلَدْ وْلاَدَكْ فِي صْغَرَكْ يْخَدْمُو عْلِيكْ فِي كَبْرَكْ"**، أي أنجب الأبناء وأنت صغير السن تستفيد منهم في شيخوختك.

ولعل الحفاظ على كرامة الأسرة، والعائلة ككل، وعلى نقاوة العرق بالنسبة لبعض الأسر الشريفة، وانتشار السكن المتفرق في البوادي في شكل دواوير منعزلة متباعدة عن بعضها البعض تتشكل من أبناء العمومة، ورفض الآباء تزويج بناتهم للأباعد في مناطق نائية، وتكاليف الزواج من الأباعد... هي من أسباب انتشار زواج القرابة وخاصة بنت العم أو الخال أو الخالة كما توضح هذه الأمثلة الشعبية :**"بَنْتْ عَمَّكْ، وَلَوْ بَارَتْ"**، أي تزوج بنت عمك ولو كانت عانسا لأنها أدرى بعادات الأسرة وتقاليدها فيحصل بذلك الانسجام، بل وتُلحُّ الأمثال الشعبية على الزواج من بنت العم حتى ولو كانت صعبة المراس مثل الطريق التي تكثر فيها المنعرجات، لأنها حتما ستوصلك إلى مرادك :**"بَنْتْ عَمَّكْ بْحَالْ الطْرِيقْ ولَوْ دَارَتْ"**، وأيضا هذا المثل **"أنَا مَا نَهْدِيشِي خِيرِي لْغِيرِي"**، وهو مثل يقال لمن يريد أن يزوج ابنه من أو بنته لمن هو أقرب إليه نسبا وأحسن خلقا وتربية. وكذلك

[13] سورة الكهف، الآية 46.

"اللّي تَعْرَفْ خِيرْ مَنْ اللّي مَا تَعْرَفْ"، أي من تعرفه خير ممن لا تعرفه، وهذا عكس ما قاله سيدي عبد الرحمان المجذوب[14] الذي يرى أن النساء والنقود هي أسباب الخلافات والعداوة بين الأقارب كما في هذه الرباعيات:

نُوصِيكْ يَا حَارْثْ الدُّومْ *** والدُّومْ كَثْرُوا نْفَاعُـه
الـدَّمْ مَا يَنْفَـعْ الـدَمْ *** يَا وِيحْ مَنْ خَانُه ذْرَاعُه
يَا الِّي تْعَيَّطْ قُدّامْ الْبَابْ *** عَيَّـطْ وُكـُنْ فَـاهَـمْ
مَا يَفْسَدْ بِينْ الأحْبَـابْ *** غِيرْ النِّسَا والـدّرَاهَـمْ.

2. شروط اختيار الزوجة حسب الأمثال الشعبية:

تخبرنا الأمثال الشعبية أن شروط اختيار الزوجة لا تقتصر على بنات الأقارب فقط، بل تشمل التربية الصالحة داخل الأسرة التي تعتبر الأم قدوة ورمزا لها كما في هذه الأمثلة:

"ابْحَثْ عْلَى الأم قْبَلْ بَنْتْهَا"، و **"شُـوفْ بِيتُه، واخْطَبْ بَنْتُه"**، أي إذا كانت الأم صالحة، وكان الاطمئنان يسود بيت الأسرة وأبناؤه مربون؛ فلا خوف على بنت تربت فيه، و **"تْزَوَّجْ لَمْرَا مَاشِي وْجَهْهَا"** تماشيا مع ما نصت عليه الشريعة الإسلامية والتي أكدت على أن المرأة لا تتزوج لجمالها فقط بل أيضا لدينها وحسبها ومالها، لأن الجمال الحقيقي هو جمال الروح وليس جمال الوجه كما قال الشاعر[15]:

فجمال الجسم يفنى *** مثل ما تفنى الزهور
وجمال النفس يبقـى *** زاهرا مرّ العصور. وما أصدق قول عبد الرحمان المجذوب[16]:

لاَ يَعَجَّبَكْ نْوَارْ دَفْلَـــى *** فِي الْوَادْ دَايَرْ ظْلاَيَـلْ
لاَ يَعَجَّبَكْ زِينْ طَفْلَه *** حتَّى تْشُوفْ الْفَعَايَلْ: *"الدفلى"*: نبات مر ينبت على ضفاف الأودية. *"ظلايل"*: ظل كثير. *"الزين"*: الجمال. والمقصود أن الجمال وحده لا يكفي بل لا بد من حسن الأفعال والأخلاق. وهذا يتوافق مع هذا المثل :**"ايْلاَ كَانْ الزِّينْ عْلَى الدَّفْلَه الْمُرَّه، غِيرْ الله يْهَنِّيهْ"**، أي أن المرأة إذا كانت جميلة ووسيمة ولسانها سليط فلا خير في معاشرتها. وقد شبهت المرأة في هذا المثل بنبات الدفلة في مرارته. وكذلك هذا المثل الشعبي :**"تَيَمْشِي الزِّينْ وتَيَبْقَاوْ حْرُوفُو"**، أي من كان جميلا

---

[14] القول المأثور ،م. س، ص: 10 و ص: 17.

[15] جبران خليل جبران (ت.1349هـ/1931م): ديوان جبران خليل جبران، تقديم: سمير بسيوني، ترجمة وتحقيق: سمير بسيوني، نشر: مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى 2009.

[16] القول، المأثور، م. س، ص: 22.

ونقيا في روحه وفي معاملاته فإنه يبقى طاهرا ومحبوبا عند الناس أبد الدهر وتبقى علامات الجمال والصلاح بادية على وجهه، ولا خير في الزوجة إذا كانت جميلة الوجه قاسية في معاملتها مع زوجها كما يفهم من هذا المثل :**"أشْ بِيني وْبِينْ شَمْسْ تَحْرَقْنِي، مَا تْدَفِّينِي !؟**، أي ما الفائدة من شمس تحرقني ولا تدفئني، بمعنى أن الزوجة الجميلة القاسية شبهت بشمس تحرق ولا تدفئ. وأيضا هذا المثل :**"تَيْفَتَّشْ عْلَى شِي نَقْرَفَايَنْ يَغْبَرْ نْحَاسُه"**، أي شخص يبحث عن زوجة صالحة. يقول إبراهيم حافظ[17] :

من لي بتربية النساء فإنها *** في الشّرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إن أعددتـها *** أعددت شعبا طيب الأخـلاق
الأم روض إن تعهده الحيا *** بالري أورق أيما إيــراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى *** شغلت مآثرهم مدى الحيـاة.

ثم قال:

ربوا البنات على الفضيلة إنها *** في الموقفين لهن خير وثـاق
وعليكم أن تستبين بناتــكم *** نور الهدى وعلى الحياة الباقي[18].

وكذلك هذا المثال: **"خُذْ بَنْتْ الأُصُولْ وَلوْ عْلَى حْصِيرَه"**، أي تزوج البنت الصالحة ولو كانت فقيرة فإنها مصدر السعادة والفلاح. و **"الِّي صْحَبْ يَصْحَبْ شْرِيفْ، والّي قْصَدْ يَقْصَدْ الدْيُورْ لَكْبَارْ"**.

وعكس هؤلاء، يكشف الموروث الشعبي عن صنف من الرجال كان يفضل المرأة الغنية كزوجة تجنبا لغلاء المهر والنفقات المادية الباهظة التي تكون أسرتها في غنى عنها كما يُلمح من هذا المثل :**"ايْلاَ حَبُّوكْ ارْتَاحْ، لاَ تَتْعَبْ لاَ تَشْقَى، لاَ تْكَثَّرْ نَفْقَه"**، ولذلك إذا كانت البنت من عائلة غنية يقال :**"الضَّوَّارَه مْرَدْيَه ومْغَطْيَه بالشْحَمْ، وْغَادِي تْيَدَّمْ شْوَارْبَكْ"**: *"الدوارة"*: أحشاء الذبيحة (الكبد والشحم والأمعاء والقلب والرئة). *"مردية ومغطية شحم"*: أي سمينة وكبيرة. *"تيدم"*: من الإيدام. *"شواربك"*: الشارب، أي أن الزوج سينال ربحا ماديا كبيرا وراء هذا الزواج. وإذا كانت عائلة البنت فقيرة يقال :**"الضَّوَّارَه مَنْ تَمّ لَلْوَادْ"**، أي ضعيفة ومريضة ولا أثر للشحم فيها ويجب أن ترمى في القمامة وبالتالي فلا فائدة مادية من هذا الزواج.

---

[17] حافظ إبراهيم (ت. 51.1350هـ/ 1932م): ديوان إبراهيم حافظ. ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1987ديوان إبراهيم حافظ، ص: 282.

[18] م. ن، والمكان نفسه.

إن التوفيق في اختيار الزوجة المناسبة هو أحد أسباب الراحة النفسية والاستقرار الاجتماعي وبناء أسرة صالحة تساهم في بناء مجتمع صالح كما يلمح من هذا المثل :**"طَاحْ الْحَكْ، وْصَابْ غْطَاهْ"**، أي التوافق بين الزوجين في المستوى الخلقي والثقافي والاجتماعي. وأيضا **"طِينُه عْلَى طِينْهَا، وْرَمُّه عْلَى رَمْهَا"**، يقال في الزوجين يكونان متحابين ومتفقين ومنسجمين في السلوك والعمل والتصرف في شؤون حياتهما.

3. بعض أسباب فشل الزواج من خلال الأمثال الشعبية:

تكشف الأمثال والحكم الشعبية عن بعض أسباب فشل الزواج، ويعتبر التعجيل بتزويج الذكور والذي يؤدي إلى سقوطهم في المراهقة المتأخر، والاختيار الخاطئ، والإكراه على الزواج بفرض أحد الزوجين على الآخر وخاصة بالنسبة للمرأة، أهم هذه الأسباب. وتحتفظ الذاكرة الشعبية وبعض كتب النوازل بحالات كثيرة تم فيها فرض أحد الزوجين على الآخر رغما عنه، فحصل النفور بينهما منذ الليلة الأولى[19] وترتبت عنه حالات من اليأس انتهت في بعض الأحيان بانتحار أحد الزوجين[20].

وإجمالا ومن خلال الأمثال الشعبية يمكن الوقوف على الأسباب التالية:

عدم اقتناع الزوج بجمال زوجته، لاسيما وأن الكثير من الأزواج لم يسبق لهم أن رأوا زوجاتهم قبل ليلة البناء بهن، فالزوجة ذات الخلقة الذميمة، كانت تزف ليلا، كما في هذا المثل :**"لاَ زِينْ لاَ مْجِي بَكْرِي"** و**" لاَ قَدْ، لاَ خَدْ، لاَ مَنْ يَرَى حَدْ"**، أي ليست ذات قامة ولا خدّ يضفي جمالا على وجهها. وأيضا سوء معاملتها وعدم الاهتمام بزوجها مثلما يوضح هذا المثل :**"عْرَايَسْ لَلاَّ شَتَّى، وَحْدَه مَا تْصَبَّحْ، وْالْأُخْرَى مَا تْمَسِّي"**، أي أن بعض النساء لا يتوفرن على نصيب من الجمال الجسدي أو الخلقي، أو الذوقي، وكأنهن لم يرون قط النعيم والترف، ولا تعلمن الإغراء بمفاتنهن لأزواجهن، بل يفعلن ذلك فقط حين خروجهن من المنزل لزيارة اقاربهن أو عند ذهابهن إلى الحفلات، وصورتهن

---

19 تحكي الرواية الشفوية أن كثيرا من الأزواج رفضوا الدخول على زوجاتهم، ومنهم من فرّ قبل ليلة الدخلة، تماما كما فرت كثير من العرائس في الليلة ذاتها.

20 سئل أبو زيد عبد الرحمان النالي عن امرأة زوجها أبوها بغير إذنها، وأخذ الوالد الحباء من الزوج على نحو ما جرت به عادتهم في ذلك، فلما أراد الزوج البناء بها ظهر منها البغض الشديد فيه حتى علم بذلك الخاص والعام والجيران والأقارب، فلما كانت الليلة الثانية من ليلة البناء بها خرجت من بيتها إلى بيت آخر فجعلت حبلا في عنقها وخنقت نفسها فماتت من ساعتها ...". المهدي الوزاني، النوازل، م. س، ج 3، ص: 362.

الأمثال الشعبية مثل غول مفترس في غاره لا يجرأ أحد على الاقتراب منه كما في هذا المثل :"**لَمْرَا فْ دَارْهَا، غُولَه فْ غَارْهَا**".

. إهمال المرأة لزوجها وعدم طاعتها له كما يظهر من هذا المثل :"**قَالْ لْزَوْجْتُه: فَيْقِنِي فْ لَفْجَرْ، فَيْقَاتَّه عَنْدْ الْعَصَرْ**"، أي طلب من زوجته أن توقظه عند الفجر فلم تبالي حتى صلاة العصر، وهو مثل يقال في زوجة لا تصغي لزوجها ولا تطيع أوامره، وتتعمد ذلك أحيانا وتقول له "**نُونْ يَا كْحَلْ لَعْيُونْ !**":"*نون*" : معناه الرفض."*أكحل لعيون*" : تعبير على سبيل التهكم والاستهزاء.

. عدم اهتمام الزوجة بتدبير شؤون بيتها[21] كما في المثل الآتي :"**مَا غَسْلَتْشِي دَارْهَا تَغْسَلْ لَمْسِيدْ**": "*لمسيد*" : لهجة عامية معناها الكُتّاب الذي يتعلم فيه الأطفال القراءة والكتابة والمبادئ الدينية الأولية. بمعنى أن المرأة لا تقوم بشؤون بيتها وتسعى لمساعدة الغير. وقد شبه عبد الرحمان المجذوب[22] هذا النوع من الزوجات كعلقة في الحلق:

شَيَّبْنِي مَرْوْ يْخَمَّمْ *** مَنْ عَلَقْ لاَصْقِينْ في لْهَاتُه

هَذَاكْ بِهْ هَمْ الْمْرَاة *** عَزُّوهْ يَا نَاسْ في حْيَاتُـه.

هؤلاء الزوجات غالبا ما يتم تطليقهن أو التخلي عنهن حتى ولو كان لديهن أبناء كثر ومر على زواجهن سنوات كثيرة[23] كما في هذين المثلين :"**نْطَلَّقْهَا وَلَوْ عْلَى عَشْرَه**" و "**عَنْدَهَا عَشْرَه وْبَايْتَه في الشجره**"، أي أن المرأة السيئة الخلق التي لا تعتني بزوجها وتقسو عليه فكأنما ترغمه ليطلقها، أو ليتركها هي وأبناؤها فتصبح بدون معيل فينطبق عليها هذا المثل :"**طَارْ طِيرَكْ، وخْذَاهْ غِيرَكْ**"، وهو مثل يقال في المرأة التي تفقد زوجها بسبب تصرفاتها الطائشة.

. الزواج من الأرملة لأن عقلها وقلبها يبقى متعلقا بزوجها الأول، كما جاء في هذه الرباعيات:

نُوصِيكْ يَا حَارَتْ الْقدّيـــمْ *** بَالَكْ مَنْ دُخَّانْهَا لاَ يَعْمِيكْ

---

21 يقول عبد الرحمان المجذوب:

نُوصِيكْ يَا حَارَتْ الْقدّيـــمْ * بَالَكْ مَنْ دُخَّانْهَا لاَ يَعْمِيكْ**

لاَ تَدِّي شِي لْمْرَا الْمَعْفُونَة * تَتْعَاوَنْ هِيَ والزْمَانْ عْلِيكْ.** *القديم*: هو الحلفاء. *لا تدي شي*: لا تتزوج. *لَمْرَا*: المرأة. *المعفونة* أي المتسخة. والمعنى أن هذا النوع من النساء يضر بالزوج فكأنهن بهذه التصرفات يعنن الزمان على أزواجهن. (القول المأثور: م. س، ص: 39).

22 م. ن، ص: 36.

23 ورد أن رجلا نكح "امرأة ومكثت عنده ست عشر سنة وهما على المحبة والمودة والمعروف ويحسن بها غاية الإحسان والآن طلبته بالنسج والغزل التي كانت تفعله." (الأجوبة الناصرية، م. س، ص: 111).

أنت تَخْدَمْ خَدْمَةْ الرَّجّالَةَ *** وهِي تْقُولْ الله يرحم المرحوم[24]. صاحب هذين الرباعيين ينصح المقبل على الزواج بأن لا يختار الأرملة شريكة له لأن عقلها وقلبها يبقيان متعلقين على الدوام بزوجها الأول، ولن تفكر في زوجها الحالي حتى ولو كان سيد الرجال.

وعلاوة على هذا فإن شك الزوجة في زوجها لأتفه الأسباب، خاصة أثناء وجوده خارج البيت، يعتبر من بين أسباب المشاكل بين الزوجين كما يوضح هذا المثل **"امْراةْ الْغَايَبْ، قَلْبْهَا طَايَبْ"**، أي أن المرأة تغضب لأتفه الأسباب بعد غياب زوجها، وتفقد الثقة في الرجال بصفة عامة كما في هذا المثل :**"مَا صَبْتْ الْخِيرْ فِي اللّي مْزَوَّجْنِي، عَسَّاكْ فِي اللّي بْغَى يَصْحَبْنِي"**. ويزداد الأمر سوءا حينما يشتد الخصام بين الزوجة وأفراد أسرة الزوج[25]، وخاصة الأم والأخت، بسبب كره بعضهما البعض كما يوضح هذا المثل :**"اللُّوسَه سُوسَه، وَلَحْمَاه فَحْمه"**:*"اللوسة"* أخت الزوج. و*"الحماة"* : أم الزوج. وهو مثل يبين كراهية بعض الزوجات لأخت الزوج وأمه.

وما يقال عن الزوجات يقال عن الأزواج لأن البعض منهم يتحملون مسؤولية فشل مؤسسة الزواج بسبب ضعف شخصياتهم أو عدم اهتمامهم بأسرهم وسوء أخلاقهم وقساوتهم مثلما يشير إلى ذلك هذا المثل :**"عَايَشْ دَفَّه لَلْبَابْ، والِّلي دْفَعْهَا يَدْخُلْ"**، وهو مثل يقال فيمن لا تكون له حرمة على زوجته وصيانة عرضه، ويقال أيضا فيمن لا هيبة له بين أفراد أسرته ولا يعمل بالمثل القائل :**"اللِّي بْغَا حَرْمُه يَحْضِيهْ"**:*"حرمه"* معناه زوجته وأبناؤه، أي يجب عليه أن لا يتهاون في صيانة حرمه والمحافظة عليه بالتربية الصالحة وبإصلاح عيوبه. وقد شبهت الأمثال الشعبية زوجات هؤلاء الرجال بحصان بدون لجام، فقيل في هذا **"انْتِ مَا عَنْدَكْ لْجَامْ؟ مَا عْلِيكْ حْكَامْ"**، أي أن هذه المرأة لا أحد يراقب تصرفاتها أو يحاسبها لتعود لرشدها وصوابها.

لكن ومقارنة بالأزواج، فالزوجات هن أقل سببا في حصول المشاكل الزوجية. وتذكرنا الأمثال الشعبية بعجز الكثير من الأزواج عن القيام بأمور الزوجية وتوفير الشروط النفسية والمادية لزوجاتهم. وقد قيل في هؤلاء **"الاَحْكَامْ وْقَلَّةْ لَقْيَامَه"** أي أن الزوج يحكم زوجته ويلتمس طاعتها وهو لا يقوم بشؤون بيته ولا يوفر لزوجته أدنى متطلبات العيش وضرورياته، وأيضا: **"كْنِيْتُه عْلِيَّ مَا**

---

[24] ورد هذين الرباعيين عند: موليراس أوجست Mouliéras, Auguste:المغرب المجهول، ترجمة وتقديم: د. عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز ن أءريف، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007. الجزء الأول حول اكتشاف الريف، والجزء الثاني حول اكتشاف جبالة، ج 1، ص: 141.

[25] ورد في الأجوبة الناصرية أن رجلا "سكن مع والده في دار واحدة ثم إن والده تنازع مع زوجة ولده ووقع فيها بالضرب.(م. س، ص: 108). وورد أيضا أن رجلا "كلّف عليه والده طلاق زوجته" (م. ن، ص: 92). وأيضا "رجل تخاصم مع والدته على شأن زوجه فأغضبته غاية الغضب فقال حرمتها لتستريحي منها". (م. ن، ص: 111).

غَطَّى لِي وَذْنِي"، وهو مثل تقوله الزوجة في زوجها الذي لا يقوم بشؤون البيت ولا يلبي رغباتها أو يوفر لها أدنى شروط الحياة الكريمة، خاصة وأن الحياة الزوجية تتطلب مصاريف يومية ضرورية كما يتبين من هذين المثلين: **"كُلْ نْهَارْ زَوْجُه يَصْبَحْ لَكْ عَزْرِي"** و **"لَمْرَا تْقُولْ خَصْ والرَّاجَلْ يْقُولْ: خْيَارْ"**، أي لا بد وأن يوفر الزوج الضروريات لزوجته[26].وكان هذا من بين أسباب الخصام الذي ينتج عنه ضرر (عنف) جسدي أو نفسي للزوجة، تضطر معه لترك زوجها لبعض الوقت وتذهب لمنزل والديها مكرهة وليس عن اختيار لأنه كما يقال: **"أَشْتَعْمَلْ الْكِينْسه فِي البِيتْ الْخَالِي؟"**، أي إذا كانت المرأة لا تجد في البيت ما تحتاجه من أسباب العيش وضرورياته فلا مانع من مغادرته، وأيضا :**"حَتّى قَطْ مَا كَيَهْرِبْ مَنْ دَارْ الْعَرْسْ"**، أي لا يمكن للقط أن يترك منزل العرس حيث الغناء والفرح و الأكل والشراب، ثم ما تلبث الغاضبة أن تعود سواء بطلب من زوجها[27] أو من تلقاء نفسها :**"غَضْبَتْ لَلاَّ وْمَنْ رَدْهَا؟ رَفْدَتْ تَنْكَاتْهَا وْجَاتْ"**:*" غضبت"* :الغضب.*" من ردها"* : من أرجعها؟.*" رفدت تنكادها"* : حملت حذاءها البالي[28]. *" التنكة"* :الحذاء البالي، ويقال هذا المثل فيمن غضبت من زوجها، أو أصابها قلق من أسرتها، ثم ما لبثت أن ندمت على ما فعلت وعادت. وقد يتكرر الغضب مرات عديدة فيتأكد للجميع أن الزوج سيء الخلق والمعاملة ولذلك شبهته الأمثال الشعبية ب*"المنحوس"* بحيث يقال :**"بْحَالْ امْرَاةْ الْمَنْحُوسْ، مَا هُوَ مْطَلَّقْ، مَا هُوَ عْرُوسْ"**، أي تركته زوجته وذهبت عند أهلها بسبب خصومة بينهما فبقي وحيدا في البيت. وما أبلغ قول عبد الرحمان المجذوب[29]:

---

[26] كان ضعف موارد الأسر وعدم قدرة بعض الأزواج على النفقة سببا في المشاكل بين الزوجين. فقد ورد أن مُحَمَّد بن حكيم الأندلسي (ت. 1027هـ/1618 م) ، لقي مرة الشيخ عبد الرحمان الفاسي فشكاه قائلا :"سيدي عبد الرحمان إن زوجتي لتكلفني ما ليس عندي. فقال له: فولدُكما يعمل لها ما تحب. فقال له : ولدي يحب ما يزداد له. فقال له : فخيِّرْهَا كما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ. فقال له : إني أحبها. فقال له : فاصبر إذا." (ابن عيشون أبو عبد الله مُحَمَّد الشراط (ت.1109هـ/1697م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس. دراسة وتحقيق : زهراء النّظّام، ط 1، م. ك. أ. ع. إ. بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1997، ص: 223.

[27] حسب الرواية الشفوية حينما تغضب الزوجة إلى بيت أهلها يكلف الزوج امرأتين أو ثلاث كبيرات في السن ومعروفات بسيرتهن الحسنة ليردن له زوجته، وتعرف هؤلاء النساء في المجتمع المغربي ب ***"لَمْشَايْخَاتْ"*** ، وإذ رفضت الزوجة العودة إلى بيتها يكلف الزوج "لمشايخات" برئاسة رجل أو اثنين من كبار الدوار، ويرسل معهم هدية لزوجته حتى يرضيها.

[28] حينما تغضب الزوجة كانت تجمع أغراضها لاسيما الملابس، والحلي إن كان لديها، في حزمة تسمى في الموروث الشعبي ب ***"الكَمُّوسَ*** أو ***لُحْزَمْ"*** أو ***"الْغَنْسَ"*** وتضعها فوق رأسها أو تحزمها وراء ظهرها، ولذلك كل من رآها على تلك الصورة يعرف أنها غاضبة فيقال عنها ***"امْرَا غضبانة خاصْهَا الْمَشْيَاخَا"*** . رواية شفوية.

[29] القول المأثور، م. س، ص: 69.

الطَّيْر الطِّيـرْ مَا ظَنّيتُـه يْطِيـرْ *** مَـنْ بَعْـد مـَا وَالَـفْ
خَلّى قَفْصِي وَعَمَّرْ قَفْصْ الْغِيـرْ *** رْمَانِي في بْحُورْ خَلاَّنِي تَالَفْ. يشير في هذين الرباعيين إلى هجران المرأة لبيت زوجها بعد ألفة ومعاشرة دامت سنين.

ومن الأسباب الأخرى التي كانت تؤدي إلى التنافر بين الزوجين: الفوارق الكبيرة سواء في العمر أو في المستوى المادي أو الثقافي. ويعتبر التعجيل بتزويج الفتيات من كبار السن والشيوخ، ورغبة هؤلاء في استعادة ماضيهم والرجوع إلى أيام الصبا، وعدم التوافق بين الزوجين، وعدم قدرة الزوج العجوز على تحقيق الرغبات النفسية للزوجة، ولاسيما الجنسية منها[30]، وفشله في التفوق عليها... من أهم المشاكل التي تذكرها الأمثال الشعبية مثل هذا :**"اِلّي قْضَى طْرِيحَه، وْبْدَا طْرِيحَه، خَصُّه الذْبِيحَه"**: *"الطْريحة"* معناها مرحلة طويلة من العمر. أي أنه من عمر طويلا في حياته الزوجية حتى صار له أحفاد، ورغب في الرجوع إلى أيام الصبا والزواج بفتاة تصغره سنا بكثير فقد أخطأ كثيرا ويستحق أن يذبح. ولذلك قيل :**"اللّي بْغَا لَبْكَرْ يَتَّطْلَى بْزَبْلُه"**، أي من أحب من ليس في مستواه (الاجتماعي المادي العمري...) وتزوج به فينبغي أن يتحمل عيوبه ويصبر على مساوئه.

4 . سبل بناء الأسرة السليمة وتجنب المشاكل من خلال الأمثال الشعبية:

تجنبا لتوتر العلاقة التي قد تؤدي إلى الطلاق، تكشف الأمثال الشعبية عن بعض السلوكيات التي يمكن اتباعها لبناء أسرة سليمة يسودها الاحترام والهدوء والطمأنينة. ومن بين هذه السلوكيات حب الزوج لزوجته وتقديرها واحترامها، بل وعليه أن يعتبرها كأسعد أيامه مثلما يلمح من هذا المثل: **"تَيْشُوفْ فِيهَا وَيْقُولْ هَذا هُوَ الْعِيدْ"**، وهو مثل يقال لمن يحب زوجته حبا كبيرا بحيث لا يستطيع التخلي عنها، وأيضا :**"قَدْ الْبُوسَه، قَدْ الْقَرْسَه"** و **"لاَ ضَرَرْ وْلاَ ضْرَارْ"**:*"البوسه"* معناه القبلة. و*"القرسه"*: كلمة بالدارجة المغربية ومعناها الضغط وشد أطراف من لحم الجسم بالأصابع بشكل يشبه العض واللدغ، ومعنى المثل أنه على الزوج أن لا يكون متساهلا ومتهاونا مع

30 كانت العلاقة الجنسية، سواء كثرة الجماع أو قلته، سببا في المشاكل بين الزوجين بحيث ترد إشارات في كتب النوازل حول شكوى بعض النساء من كثرة الجماع كما جاء في كتاب: النوازل الكبرى للمهدي الوزاني، م. س، ج 3، ص: 396 و ص 435 و 440. وقد حدد الفقهاء أن عدد المرات المسموح بها لممارسة الجنس هو ما بين 4 و 8 مرات في اليوم أي ما بين الليل والنهار. (للمزيد من الاطلاع تنظر: المهدي الوزاني، النوازل، ج 3، ص: 408). ووردت أيضا أسئلة حول قلة الجماع مثل هذا السؤال حول المقعد أو الشيخ "إذا تزوج فزعمت امرأته أنه لا يقدر على وطئها، فقال هو: بل هي التي تمنعني نفسها، فكذبته وسألت السلطان أن يضرب لها أجل سنة فذلك لها، فإن جاء الأجل فأقر أنه لم يصب فرق بينهما...". المهدي الوزاني، النوازل، م. س، ج 3، ص: 396. وقد أورد موراليس حكاية موشي الحاخام اليهودي، في منطقة الريف شمال المغرب، الذي رفضت عشيقته "الاستمرار معه في علاقة اعتبرتها غير مسايرة لرغباتها الشهوانية". المغرب المجهول، م. س، ج 2، ص: 54.

زوجته وأن لا يقسو عليها قساوة مبالغا فيها، وكما يقال خير الأمور أوسطها، أي المعاملة الحسنة الطيبة مع الشدة أحيانا. وتشدد الأمثال الشعبية على عدم التساهل خاصة في الأيام الأولى من الزواج حيث يقال **"نْهَارْ اللَّوّلْ إيمُوتْ الْقَطْ"** و **"ضْرَبْ الُّلوسَه تْخَافْ لَعْرُوسَه"**: *"اللوسة"*: لهجة عامية معناها أخت الزوج، وهو مثل يقال لإعطاء العبرة للآخر خاصة للزوجة. فحينما يضرب الزوج أخته فإن الزوجة تدرك صعوبة مراس الزوج. وتنصح الأمثال الشعبية الزوج بالابتعاد عن الزوجة وعدم الجلوس معها في البيت طول النهار ومراقبة كل تحركاتها لأن **"الرّاَجَلْ مْعَ مَرْتُه في الدّارْ، حْبُوبَه في الظْهَرْ"**: أي أن الرجل الذي يبقى في البيت مع زوجته طيلة النهار مثل علة في ظهرها.

ويفهم من الأمثال الشعبية أن بعض الزوجات كن يعملن ما في وسعهن حتى يحافظن على أزواجهن من ذلك اعتناؤهن بمظهرهن، من لباس وحلي وتزيّن بالكحل والحناء، حتى يظهرن في صورة أجمل كما في هذا المثل :**"خَصْنِي مَا يَشْرَقْ، مَا يَبْرَقْ"**، وكذلك تدعو الأمثال الشعبية إلى عدم اهتمام الزوجة بمن يكيد لها ويسبب لها المشاكل إذا كان زوجها وأسرته وأقاربه يحبونها ويحترمونها ويقدرونها كما في هذا المثل **"ايْلاَ حَبَّكْ لَقْمَرْ بَهْلاَلُه، أَشْ عْلَيْتَكْ في النْجُومْ يْلاَ بَانُو؟"**، وقد عبر عن ذلك عبد الرحمان المجدوب[31] في رباعياته قائلا:

يا قلبي يا حامل الما للعقبة *** ويا طارد الشمس ماك إلا مهبول

لا تبغي من لا يحبك بمحبه *** وإذا حبك القلب غير خلّ الناس تقول.

وكما يقال أيضا :**"وَ افَقْنِي أوْ فَارَقْنِي"**، وهو مثل يقال لزوج لا يحسن معاشرة زوجته، كما يقال من زوجة تريد أن تجعل زوجها خاضعا لأوامرها وطيعا لها.

غير أن البعض من الزوجات كان لهن تصور خاص للعلاقة الزوجية ينبني على تهميش الزوج وجعل دوره ثانويا، ولذلك كُنّ يلجأن إلى الطرق الملتوية كممارسة الشعوذة والسحر[32] لإخضاع أزواجهن وتسييرهم وفق ما يُرِدن كما في هذا المثل :**"بْغِيتْ حَوْلِي كَيَشْبَهْ لْمُولاَهْ"**: *"حولي"*: معناه

---

[31] القول المأثور، م. س، ص: 56.

[32] تحكي الرواية الشفوية حالات كثيرة من هذه الطرق الملتوية، كإطعام الزوج بمخ الضبع أو ببعض النباتات وبقايا أو أعضاء الحيوانات أو دم وشعر الإنسان، وتمزج هذه الأشياء لتصبح عجينا يضعف عقل وصحة الزوج ويجعله عاجزا ومرغما على طاعة زوجته. وقد رُوي أن امرأتين اتجهتا إلى المقبرة وقامتا بإخراج جثة ميت حديث الدفن، وأجلستاه مستقيما: إحداهما مسكته حتى لا يسقط والثانية أخذت تصنع الكسكس (البركوكش) بيده حتى إذا تناول منه زوجها أصبح بمثابة الجثة بين يدي غاسله (يقول المثل الشعبي : **وَاشْ عَنْدْ الْمَيَّتْ مَا يْقُولْ كُدَّامْ غَسَّالُو**) ولا قدرة له على رفض أو الاعتراض على أفعالها وأوامرها. Edmond Doutté, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord, Typographie Adolphe Jourdan, Paris, J .Maisonneuve, P. Geuthner S.A, p. 303.

الخروف، أي يطيعها في كل ما ترغب فيه ويلبي لها جميع رغباتها دون مناقشة ولا تردد[33] حتى يصبح مثل الخروف :" **كَيْبَعْبَعْ وَيْقُولْ: بَاعْ**".

وتزداد المكائد والطرق الملتوية للمرأة (السحر والشعوذة)، والتي تؤثر سلبا على الزوج، في حالة تعدد الزوجات، ولا سيما إذا تزوج إحداهن بطريقة سرية وافتضح أمره فتقول الأولى عنه :"**سِدِي بَاسْيَادُه و أنَا مَا سَايْقَه اخْبَارْ !**"، أي أن الزوجة تستغرب من زوجها لاتخاذه زوجة ثانية دون علم منها، ولذلك تسعى كل واحدة منهن للاستئثار به لنفسها عن طريق عملية "**البغض أو الكره السحري**"[34] فيصبح ألعوبة، وشبهته الأمثال الشعبية بنعجة (شاة) أو حمل بين ذئبين كما في هذا المثل "**مُولْ زُوجْ عْيَالاَتْ عَايَشْ بْحَالْ النَّعْجَة بِينْ زُوجْ ذْيَابْ**".

لقد حذرت الأمثال الشعبية من الزواج الفاشل وعواقبه ونصحتنا بالتفكير، وبالاختيار الأمثل :"**وَلْدَكْ اخْتَارْ لِهْ الْأُصُولْ، وْبَنْتَكْ اخْتَارْ لِهَا الرُّجُولْ**"، وأيضا "**ايْلاَ زَوَّجْتْ بَنْتَكْ لْرَاجَلْ مَزْيَانْ رْبَحْتْ وَلْدْ، وَيْلاَ زَوَّجْتْهَا لْرَاجَلْ خَايَبْ خْسَرْتْ بَنْتْ**"، أي على الأبوين اختيار الزوجة الصالحة لابنهما، والزوج الصالح لبنتهما حتى لا يكون "**الْفَرْحْ سَبْعْ أيَّامْ، والْحُزْنْ طُولْ الأيَّامْ**" ولا يكون "**الْهَمْ بَرْطَلْ، والْفَرْحْ بْنَصْ رْطَلْ**": *"رْطَلْ"*: 500 غرام (نصف كيلوغرام)، و *"نَصْ رْطَلْ"* 250غرام (ربع كيلوغرام): أي أيام فرحنا سبعة أيام فقط، وهي مدة حفلة الزفاف، وباقي الأيام تكون كلها حزنا ومشاكل، وبالتالي فقيمة الفرح في بعض الأسر أقل بكثير مقارنة مع قيمة الهم والحزن.

---

33 تروي الحكاية الشعبية أن زوجة اتفقت مع أمها لتساعدها كي يصبح زوجها طيعا لها وخاضعا لأوامرها. وبعد مجموعة من الطلاسم أرادت أن تجرب هل أصبح زوجها كما أرادته، فأرسلت معه إلى أمها مغرفة (ملعقة) فيها مرق الطعام لتذوقه أمها وترد عليها هل مذاقه ملائم أم لا؟ فلما تذوّقت الأم المرق طلبت منه أن يقول لابنتها :"**اللّي فِيهْ يَكْفِيهْ وِيْلاَزْدْتِشِي تَعْمِيهْ**"، أي أن ما وصل إليه الزوج من الطاعة والخضوع يكفيه فإذا أضفت شيئا فقد يصبح أعمى، أي يصبح لا شيء.

34 يقول الله تعالى: «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ". سورة البقرة، الآية 102. يظهر من الآية أن الإنسان يسعى إلى التفريق بين الزوجين عن طريق أعمال سحرية متعددة منها مثلا أن من أخذ ثلاث ريشات من الجناح الأيسر للهدهد "وكنس بها باب دار ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس، ويقول الكانس: كما انقطع هذا التراب من هذا المكان، كذلك ينقطع فلان بن فلانة من هذا المكان، فإنه يخرج منه ولا يعود إليه أبدا". (راجع كتاب: كمال الدين مُحَمَّد بن موسى الدميري (ت. 808هـ/ 1405. 06م): حياة الحيوان الكبرى، تهذيب وتصنيف: أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1992، ص: 229). أو يقوم أحد ما بصب الماء وراء الشخص المراد به سوءا حين خروجه من المنزل وهو يردد التعويذة الآتية: "**الْمَا والشّطَّابَه حَتّى لْقَاعْ لَبْحَرْ**"، أي منك إلى البحر بدون رجعة (رواية شفوية). وكذلك يتم جمع كمية من التراب الذي داسته قدم الرجل اليمنى للتفرقة بين الزوجين. Edmond Doutté, Magie et Religion…, op cit, p. 287.

وللمرأة، في الثقافة الشعبية، دورا هاما في نجاح أو فشل *"مؤسسة الزواج"* ، فبإمكانها أن تغير حياة الرجل من حسن إلى أحسن أو من سيء إلى أسوأ كما في هذا المثل :**"الْخِيرْ امْرَا، والشَّرْ امْرَا"**، وكما قال عبد الرحمان المجذوب[35]:

وَاحْدَة تْجِيبْ الْخِيرْ مْعَاهَا *** وَاحْدَة تَطَّرْدُه بَعْمُودْ. بمعنى هناك امرأة تأتي ويأتي معها الخير، وهناك امرأة أخرى تبعد الخير وكأنها تضربه بعصا.

والشيء نفسه بالنسبة للرجل، فكم من فتاة اغترت لمظهر الرجل وماله واختارته كزوج لها دون أن تتنبه إلى انحرافه وسوء خلقه فندمت على ذلك كما في هذا المثل **"يَلْعَنْ كَاسْ البَلاَّرْ، اللِّي نَتْقَيَّا فِيهْ لَمْرَارْ"**: *"كأس البلار"*: هو كأس من زجاج باهض الثمن. *"لمرار"*: سائل مر يتقيأه المرء. والمثل ينبهنا إلى عدم الاغترار بالمظهر الجميل.

وكيفما كانت عيوبها، فإنه للمرأة في الموروث الشعبي قيمة كبيرة حتى أن المثل قال عنها **"لَمْرَا عْمَارَه وَلَوْ تْكُونْ حْمَارَة"**، وأيضا :**"الْبِيتْ يْلاَ خْطَاتُو مُلاَتُه، أجِيوْا تْشُفُوا حَالاَتُه"**: أي المنزل إذا تركته المرأة أو خلت منه ستتدهور حالته.

5. أمثال قيلت في العرس والزواج:

."أنا نْطَلّلأقْهَا وهِيَ تْفَرَّشْ لِي السَّرِيرْ": الاستهانة بالأمور لجلب عطف الغير.

- **"أَنَا نْكَنِّيه وْهِيَ تْسَمِّيه"**: الانسجام بين الزوجين للتغلب على متاعب الحياة ومشاكلها.

-**"تْزَوَّجْهَا بالدِّينْ وْقُلْ زُغْبِيَه"**. يقال لمن يتسبب في المشاكل وينحني باللائمة على غيره أو على نفسه، ويدعي بأنه سيء الحظ.

-**"جَا لَلفَرْحْ قْبَلْ لِيلَه بْسِيرَه، وقْبَلْ الْفَرْحْ بْسَبْعْ أيّامْ"**: يقال فيمن تستدعيه في وقت محدد للقيام بعمل، أو تستضيفه، فإذا هو يحضر قبل الدعوة، فتضطر لتحمل مسؤوليته، والتكاليف المنوطة به.

-**"حَتَّى زَوَّجْتْ بَنْتِي عَادْ كَثْرُوا الْعَرْسَانْ"**: يقال ممن تسرع في تزويج ابنته لمن لا يستحقها، فندم على ذلك. إذ بعد تزويجها تهافت على بيته الكثير من الخطّاب.

- **"زُوجْ لاَقَوْنَا، زُوجْ يْفَرْقُونَا"**: تقوله المرأة لزوجها طالبة منه أن يطلقها ساعة غضبها وقلقها. والمقصود بكلمة زوج: اثنان. أي العدلان اللذان كتبا عقد الزوجية.

-**"حَبِّيتْ نْعَرَّسْ لْقِيتْ رَاسِي كَنَتْهَرَّسْ"**: يقال لبيان بأن إقامة حفلة العرس قد تؤدي إلى ديون ثقيلة يصعب تسديدها. وكما يقال :**"الْعَرْسْ اسْمُه الْهَرْسْ"**.

---

[35] القول المأثور، م. س، ص: 38 .

-**"عَنْدْهَا عْلاَشْ، مَاشِي عْلَى لَعْمَاشْ"**: يقال لامرأة متزوجة برجل متوسط الحال وهي غير راضية عنه. فقد ترمز إلى امرأة أخرى تغبطها، لأنها متزوجة بزوج ثري ميسور يحقق لزوجته كل ما ترغب فيه من الحياة وكمالياتها.

-**"عْلِي فِي الْبِيتْ، وْعِيشَه تَشْرِي الزّيتْ"**: يقال للزوج الذي يعتمد على زوجته في كل صغيرة وكبيرة داخل وخارج البيت.

-**"اللّي عَرَّسْ نْعَرْسُوا مْعَهْ؟ واللّي حَنَّى نْحَنّيوْا مْعَاهْ؟"**: فيمن لا يريد تكرار الشيء كالأكل والشراب كل مرة مع الضيوف.

-**"لَعْرُوسَه للَّعْرِيسْ، والْجَرْيْ للَّمْتَاعِيسْ"**: يقال ممن يشقى ويتعب من شيء تعود منافعه ومزاياه على غيره دون استفادته هو منه.

-**"اللّي أمُّه طَبَّاخَه فْ دَارْ الْعَرْسْ مَا يْخَافْ يْبَاتْ بْلاَ عْشَا"**: مثل يوضح ما يتميز به قلب الأم من عطف وحنان تجاه أبنائها.

-**"وَجْهِي مَنْ وَجْهَكْ حْرَامْ، مَا نْشُوفَكْ مَا نْرَاكْ، لاَ هْنَا وَلاَ عَنْدْ الله"**: عبارات كانت تقولها المرأة لزوجها عندما يشتد غضبها عليه وتعبر فيه له عن رغبتها في الطلاق منه.

-**"هَذَاكْ قَرْقْبُو عْلِيهْ السْوَارَتْ"**: يقال لمن أسندت إليه مسؤولية هامة ذات خطورة وتحتاج إلى حزم وحذر مثل الزواج، لأن المثل يقول لمن تزوج **"دخل القفص الذهبي" "الزْوَاجْ قَفَصٌ مِنْ ذهبٍ"**

-**"يَاكْ بَعْدَا، أَسَمْ وْفَالْ"**: يقال لمن يحصل على شيء له قيمة مستقبلية. وتقوله المرأة عند تزويجها بزوج وسيم وثري ومن أسرة شريفة خلقا ونسبا.

خلاصة

تعبر الأمثال والحكم الشعبية المغربية عن تصورات المغاربة حول شروط اختيار الزوجة وأساليب المعاشرة وتدبير الحياة الزوجية وتحقيق الاستقرار الأسري وبناء مجتمع صالح.

وقد قدمت الأمثال الشعبية المغربية تصورا يكاد يكون مستوفيا لجميع جوانب وشروط تدبير وإنجاح مؤسسة الزواج سواء من الناحية القانونية أو النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ولذلك لا نبالغ إذا قلنا أن الأمثال الشعبية التي نسجها المغاربة حول الزواج والحياة الزوجية هي بمثابة الخلاصة الناتجة عن تجربة شعب، تلك التجربة التي تحمل ما يكفي من مقومات النجاح التي لا يمكن تجاهلها في مجال العلاقات الاجتماعية كعلاقة الحياة الزوجية.

إن الأمثال الشعبية تكشف عن جوانب كثيرة من تفاصيل الحياة الزوجية بمحاسنها ومساوئها، وهي بذلك تعتبر من المصادر المنسية التي لا يمكن إغفالها لبناء وإنجاح مؤسسة الزواج وتربية الناشئة وسط محيط أسري سليم يسوده التفاهم والتعاون والمحبة بين الزوجين والأبناء،

وتمرر عبره قيم المجتمع الدينية والثقافية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية، وحتى السياسية، وبالتالي تنشئة فرد صالح قادر على تكوين مجتمع سليم يوفر شروط الحياة الكريمة لجميع فئاته.

المصادروالمراجع

_ القرآن الكريم برواية ورش.

_ التمكروتي محمد بن ناصر الدرعي (ت.1085هـ/1674م): الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية. مخ. م. و. الرباط_ المغرب.

_ جبران خليل جبران (ت.1349هـ/1931م): ديوان جبران خليل جبران، تقديم: سمير بسيوني، ترجمة وتحقيق: سمير بسيوني، نشر: مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى 2009.

_ حافظ إبراهيم (ت. 51.1350هـ/ 1932م): ديوان إبراهيم حافظ. ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1987

_ حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت_ لبنان، 1988.

_ الدميري كمال الدين محمد بن موسى (ت. 808هـ/ 1405. 06م): حياة الحيوان الكبرى، تهذيب وتصنيف: أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1992، ج 2.

_ سيد كريم: السحر والسحرة عند قدماء المصريين مجلة الهلال، مايو 1975.

_ العبادي الحسن: فقه النوازل في سوس. قضايا وأعلام. منشورات كلية الشريعة بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء _المغرب 1999.

_ ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط (ت.1109هـ/1697م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس. دراسة وتحقيق : زهراء النّظّام، ط 1، م. ك. أ. ع. إ. بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء _ المغرب 1997.

_فاتن محمد شريف: الثقافة والفلكلور، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1.

_ مارمول كربخال (ق.10هـ/16م): إفريقياز تعريب: محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون، ط 1، 3 أجزاء، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء_ المغرب 1984، ج 2.

_ المجذوب عبد الرحمان بن عياد (ت.976هـ/ 69.1568م): القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء_ المغرب، د.ت.

_ محمد بن الحاج الكبير: تاج الملوك المسمى بدرّة الأنوار في صنائع الأبرار، مطبعة النهضة، 24 ج، تونس، دون تاريخ.

_(ابن) منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت.711هـ/1311-12م): لسان العرب المحيط. تحقيق: عبد الله الكبير ومحمد أحمد حبيب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

_ موليراس أوجست Mouliéras, Auguste:المغرب المجهول، ترجمة وتقديم: د. عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز ن أيريف، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء_ المغرب 2007. الجزء الأول حول اكتشاف الريف، والجزء الثاني حول اكتشاف جبالة.

_الوزاني أبو عيسى المهدي (ت.1342هـ/ 1923م): النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسمى ب"المعيار الجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب". قابله وصححه الأستاذ: عمر بن عباد، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبعة 1417هـ/1996، ج 3.

_ الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت. 1508/914): المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1981/1401، ج 3.

_Edmond Doutté, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord, Typographie Adolphe Jourdan, Paris, J .Maisonneuve, P. Geuthner S.A, p. 303.

_ رواية شفوية.